إعجاز القرآن في دلالة الفطرة على الإيمان

د/ سعد بن علي الشهراني

- عضو هيئة التدريس بقسم العقيدة جامعة أم القرى

ملخص البحث

فقد عظم الإسلام أمر الفطرة وأعلى شأنها، حيث وصف الله تعالى في القرآن الكريم الدين بها، وأمر باتباعها وحذّر العباد من تغييرها مبينًا أن اتباعها هو سلوك للدين الذي ارتضاه الله وجعله مستقيًا قيّمًا لجميع ما يحتاجه البشر في أمر دينهم ودنياهم، قال تعالى:

(فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون) [الروم:٣٠] ومن تعظيم الإسلام للفطرة أنه جعلها الأساس السابق لأي دليل شرعي أو عقلي. فرسالة الرسل –عليهم الصلاة والسلام– وشرائعهم مكملة للفطرة ومذكرة بها، وهذا ما بينه الله تعالى في كتابه الكريم في مواضع عدّة، منها قوله تعالى: **(فذكر إنما أنت مذكر)**[الغاشية:٢١] وقوله تعالى: **(إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد)** [ق:٣٧]

لقد أثبتت الدراسات العلمية الحديثة التي أجريت على فئات مختلفة من الناس في مناطق متعددة وبواسطة علماء من جامعات أكاديمية مشهورة: (أن الغريزة الدينية مشتركة بين كل الأجناس البشرية، حتى أشدها همجية وأقربها إلى الحياة الحيوانية، وأن الاهتمام بالمعنى الإلهي وبما فوق الطبيعة هي إحدى النزعات العالمية الخالدة).

وتلك النتائج العلمية الباهرة تتوافق مع ما جاء به الإسلام، وقرره علماء الإسلام قبل ألف وأربعمائة سنة!!.وفي ذلك دليل قاطع على صدق القرآن ومبلغه الذي هو رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم.

كما أنه دليل صريح على صحة عقيدة الإسلام، وانسجام ذلك مع طبيعة الإنسان وتكوينه الفطري.

وأنه حينما ينسجم عقديًا مع تلك الفطرة المركوزة فإن آثار ذلك لا ينعكس على مستقبله الأخروي فحسب، بل إن ذلك ينفعه في دنياه من الناحية النفسية والصحية.

وصدق الله القائل: (**وفي أنفسكم أفلا تبصرون**) والقائل: (**أفلا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير**)، والقائل: (**فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون**) [الروم:٣٠]

أهم ما توصّلت إليه من نتائج:

١. أن الفطرة في اللغة لها معانٍ عديدة، كالشق والخلقة والابتداء والاختراع وغيرها.

٢. أن العلماء اختلفوا في بيان معنى الفطرة إلى عدة أقوال، بيد أن الذي عليه أكثر السلف وجماهير العلماء هو تفسيرها بالإسلام.

٣. أنه ليس المراد بالقول أن المولود يولد على فطرة الإسلام: أنه يولد وهو يعلم هذا الدين ويريده، ولكن المراد أن فطرة المولود تستلزم الإقرار بالخالق ومحبته، وموجبات الفطرة ومقتضياتها تحصل شيئًا بعد شيء بحسب كمال الفطرة إذا سلمت من المعارض.

٤. أن في نصوص الكتاب والسنة غنية بالأدلة العقلية اليقينية على أصول الاعتقاد، خلافًا لمن زعم أنها مجرد أدلة سمعية تحتاج إلى براهين خارجية.

٥. أن معرفة الله تعالى فطرية خلافًا للمتكلمين الذين يقررون بأنها نظرية.

٦. أن الأدلة القرآنية قد جلت المراد بحقيقة الفطرة موضحة لمعناها وجاءت السنة النبوية مكملة لهذا المعنى مؤكدة عليه.

٧. إثبات الفطرة وتأصيلها فيه رد على العلمانيين الذين يريدون فصل الدين عن شتى مجالات الحياة، ذلك أن هذه الفطرة السليمة تجمع بين الأخذ بأسباب الحضارة دون إخلال بالقيم والمقاصد النبيلة.

٨. توجد أبحاث تجريبية يجريها علماء الغرب على المخ البشري تقرر أن الإيمان له مواضعه في المخ، وهذه الدراسات لا تزال نظريات ولعلّه يظهر لنا بعض

ما كنا نجهله عن «المخ البشري» (وما أوتيتم من العلم إلا قليلًا). والدلائل النقلية والعقلية والحسّية تؤكد لنا فطرية المعرفة من قبل هذه الدراسات التجريبية الطبية.

توصيات

١. الاعتماد على المنهج القرآني في ترسيخ الإيمان واليقين.

٢. إبراز الأدلة القرآنية في مخاطبة العقول، فإنه ما من أصل من أصول الاعتقاد يمكن الاستدلال عليه عقلًا، إلا وفي النقل التنبيه على ذلك، علمه من علمه وجهله من جهله.

٣. تنقية المناهج الدراسية مما علق بها من مسائل ودلائل المتكلمين والفلاسفة التي عطلت الفكر الإسلامي وأخرت المسلمين وأشغلتهم بالمسائل التي لا ينبني عليها علم نافع وعمل صالح.

٤. المزيد من الدراسات المؤصلة التي تبرز عظمة وإعجاز القرآن التشريعي في مختلف المجالات، والملاحظ هو انشغال كثير من الباحثين بالإعجاز العلمي، وعدم إعطاء هذا المجال حقه الكافي من الدراسات.

٥. دراسة "آية الميثاق" دراسة موضوعية مفصّلة تجمع أقوال المفسرين فيها، والروايات الحديثية وتمييز صحيحها من ضعيفها.